

الهجرة النبوية واليهود في الجزيرة العربية

لسماحة الأستاذ الشيخ إبراهيم التمتان
(عضوالمجمع)

١- جاء الإسلام فوجد أمما قوية مختلفة قد ترأبقت فيما بينها على الحياة والفتح ، وتسخير الناس بالظلم والطغيان والجبروت ، وكانت على عقائد خرافية تتفانى في الذب عنها . فأتى بدين تويم ، فيه أرقى ما يمكن تصوره من روابط الاجتماع القائمة على أحكم الأصول الأدبية .

والعالم كله يعلم أن العرب كانوا على عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قبائل متفرقة ، وأوزاعا متنافرة ، لا يوحد كلمتهم دين ولا تضمهم جامعة . وكانت بينهم حروب متوارثة ، وإحن وتورات قائمة على اعتبارات جاهلية ، يعتبرون هذا كله من مفاخرهم ، لم يقم فيهم من يدعوهم لتوحيد كلمتهم ، وتعيين غايتهم ، ولم يكونوا قادرين على النظر أو التفكير في تفسير ما هم فيه من الجمود على عقائد باطلية ، وتقاليد ضارة .

فلما أرسل محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الى العالم بالهدى ودين الحق ، انكروه غاية الانكار ، وثاروا عليه ثورة عارمة ؛ فرموا الرسول الكريم بالامترأء والاختلاق ، وبالسحر وقول الشعر ، ورموه بالجنون . وقد حكى الله بعض ما واجهوا به الدعوة الاسلامية فقال تعالى : « وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ، وَقَالَ

الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، أَجْمَلُ إِلَهَةٍ إِلَهًا وَاحِدًا ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ . وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ، إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ « (١) .

وقال تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ، وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ، وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ نَبِيًّا إِلَّا أَنْذَرْنَاهُمْ أَنَّ يَوْمَهُمْ الَّذِي كَانُوا يُكْفَرُونَ بِهَذَا يَكُونُ بَعْدَ غَوًى أَلَدًّا ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْمَاءِ أَنْبِيَآئِهِ وَلِأَيِّ مِلَّةٍ كَانُوا مِنْ قَبْلُ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي سَمَوَاتِهِ وَآرْضِهِ وَجَمَادِي كُلِّ نَفْسٍ إِنَّ اللَّهَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ » (٢) .

ومكث الرسول الكريم في هذه البيئة المستعصية ، يحاول أن يهديهم بالقرآن الكريم ، تارة يرغبهم ، وبرهيبهم تارة اخرى . ويعددهم ويوعدهم، ويضرب لهم الامثال ، ويدعوهم للنظر والاعتبار ، فلم يزدادوا إلا عتوّاً واستكباراً وعتاداً ، ونفوراً من الحق وإنكاراً . وقد مكث فيهم ثلاث عشرة سنة لم يترك خلالها وسيلة الا أتبعها ، وهم مصرّون على العناد ، يؤذونه شر ايذاء ويؤذون أصحابه ، ويعذبون المستضعفين منهم أشد العذاب ؛ فصبر على ذلك كله ، وهو يدعو لهم ويقول : « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » . ثم أمر أصحابه بالهجرة ، فهاجر بعضهم الى الحبشة .

ولما لم يجد من قومه استجابة ، عرض نفسه على قبائل العرب التي كانت تحج الى مكة ، فلم يستجيبوا له ، ولم يابهاوا لدعوته .

وفي موسم من مواسم الحج قابسل بعضا من رجال الاوس والخزرج من سكان يثرب ، فقبلوا دعوته ، ووعده بعرض امره

(١) سورة (ص) ، الايات ٤ - ٧ .

(٢) سورة سبا ، الآية ٤٣ ، ٤٤ .

على قومهم ، وقد كان اليهود يثرب يقولون لهم اذا اختلفوا معهم :
ان نبيا مبعوثا الآن قد اطل زمانه ، تتبعه فنقتلكم معه . فلما كلم
النبي ، عليه الصلاة والسلام ، اولئك النفس ودعاهم الى الله ،
نظر بعضهم الى بعض وقالوا : والله انه للنبي الذي تواعدكم به
يهود ، فلا يسبقنكم اليه .

وعاد هؤلاء النفس الى المدينة ، ومن بينهم اثنان من بني النجار ،
من احوال عبد المطلب ، فذكروا لقومهم اسلامهم ، فالفوا قلوبا
منسرحة ، ونفوسا متلهفة لدين يجعلهم موحدين كاليهود ، بل يجعلهم
خيرا منهم ؛ فلم تبق دار من دور الاوس والخزرج جميعا الا فيها ذكر
محمد ، عليه الصلاة والسلام .

فلما استدار العام ، وعادت الاشهر الحرم ، وعاد الحج
لمكة ، اتى الموسم اثنا عشر رجلا من اهل يثرب ، فالتقوا بالنبي ،
صلى الله عليه وسلم ، بالعقبة في منى ، فبايعوه بيعة العقبة الاولى .

وبعث النبي الكريم معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ، ويعلمهم
الاسلام ، ويفقههم في الدين ، فازداد الاسلام انتشارا . واقام مصعب
بين المسلمين من الاوس والخزرج يعلمهم دينهم . ولما كان الموسم
للحج ، حج عدد كبير من اهل يثرب ، وكان من بينهم خمسة
وسبعون مسلما : ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان . والتقوا مع الرسول
الكريم عند العقبة ، وكان معه عمه العباس بن عبد المطلب ،
فبايعوا النبي على ان يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم .

٢ - وبعد هذه البيعة امر الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، أصحابه
ان يهاجروا الى المدينة . وبدأ المسلمون يهاجرون فرادى او نفرا

قليلًا حتى لا يثيروا ثائرة قريش عليهم . وحاول رجال من قريش أن يردوا من استطاعوا رده من المهاجرين إلى مكة ، ليفتنوه من دينه ، أو ليعذبوه وينكروا به . وتتابعت مع كل هذا هجرة المسلمين إلى يثرب ، والنبي ، عليه الصلاة والسلام ، مقيم ، ولا يعرف أحد هل اعتزم الإقامة أم قرر الهجرة . وبعد ذلك هاجر إلى المدينة هو وأبو بكر ، ووصل إلى المدينة بعد رحلة مضية ، حُفَّتْهَا أخطار كثيرة ، وكان الإسلام قد انتشر في المدينة .

وصل النبي الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، إلى المدينة يوم الجمعة ، فصلّاها بالمدينة . وأقبل عليه المسلمون بيثرب ، وكل يحاول أن يراه وأن يقترب منه ، وأن يملأ عينيه من هذا الرجل الذي آمن به ولم يره من قبل ، والذي امتلأت مع ذلك نفسه بحبه والإيمان برسالته . وركب ناقته والتي لها خطامها ، فانطلقت في طرق يثرب ، والمسلمون من حولها في حافل حافل يُخلون لها طريقتها ، وسائر أهل يثرب من اليهود والمشركين ينظرون إلى هذه الحياة الجديدة التي دُبَّتْ في مدينتهم ، وإلى هذا القادم العظيم الذي اجتمع عليه من الأوس والخزرج ، الذين كانوا من قبل أعداء متقاتلين ، ولا يجول بخاطر أحدهم ما أعدَّ القدر لمدينتهم من جلال وعظمة يبقيان على الزمن .

وأول شيء عمله النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة هو بناء مسجده ومسكنه إلى جوار المسجد ؛ وكان المسجد هو مكان العبادة ، وهو المدرسة ؛ يجتمع فيه المسلمون لتلقي تعاليم الإسلام ، والتفقه في الدين ، وهو النادي يجتمعون فيه ، ويتباحثون في ما يواجههم من حوادث وأمر هامة .

٣ - وبدأ النبي بتأسيس الدولة الجديدة ، وكان أول عمل بدأ به هو
 المواخاة بين المهاجرين والانصار ؛ فكان بعض الانصار يقاسم اخاه
 من المهاجرين ماله ، وبعضهم يقدم ما يستطيع من المعونة لاخته
 المهاجري . وهكذا تكونت أخوة بينهم لم يوجد لها مثل في تاريخ
 البشرية .

وكانت مهمة الرسول الكريم شاقة وصعبة ؛ فقد كان في المدينة
 ثلاث فئات من السكان هم : المسلمون من المهاجرين ، والانصار
 من الاوس والخزرج ، واليهود ، وهم قبائل مختلفة ، ولهم نفوذ كبير
 ووزن في السياسة والاقتصاد والقتال ، فكان لا بد من تجنب شرهم ،
 وكسب صداقتهم لمواجهة ما يتوقعه الرسول ، عليه الصلاة والسلام ،
 من عدوان قريش ومن يحالفهم من العرب الذين لم يدخلوا الاسلام .
 والفئة الثالثة لم تحدد موقفها ، فهم في الظاهر مسلمون ، ولكنهم
 كاذبون منافقون ، يظهرون خلافا ما يُبررون . وقد بين القرآن الكريم
 هذه الفئات الثلاث في اول سورة البقرة ، بقوله تعالى : « أَلَمْ نَكْتُبْ
 ذَلِكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ، وَيُقِيمُونَ
 الصَّلَاةَ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
 أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ، وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ؛ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » . هذه الفئة الاولى وهم المسلمون .

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ، لَا يُؤْمِنُونَ ؛
 خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ، وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ » . وهذه هي الفئة الثانية وهم اليهود .

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالِيَوْمَ الْآخِرِ ، وَمَا هُمْ
 بِمُؤْمِنِينَ ؛ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا

يَشْعُرُونَ ؛ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ، فزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ؛ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ، قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ، قَالُوا : أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ؟ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ؛ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ؛ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ؛ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدَّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ، فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ؛ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ؛ صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ؛ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ؛ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حُدُورَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ، كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ؛ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وهذه هي الفئة الثالثة وهم المنافقون ، وشياطينهم اليهود .

وقد وصف الله تعالى المؤمنين في أربع آيات ، والكافرين من

اليهود في آيتين ، ووصف المنافقين في ثلاث عشرة آية .

٤ — فكان على الرسول الكريم أن ينظّم العلاقات بين المسلمين واليهود ،

فبعد أول معاهدة دولية بين اليهود والمسلمين ؛ وهي من أنفس العقود

الدولية وأمتعها وأحفظها بالنظر والتقدير من الناس كافة ، وأولها

بأن تكون نبراسا للمسلمين في أصول العلاقات الدولية بينهم وبين

مخالفينهم من أهل الأديان الأخرى . وكان في عقدها ابتداء الدولة

الإسلامية ، وإبتداءُ الاعتراف بالمسلمين دولةً مستقلةً لها كياناتها
وأصولها .

وهذه الوثيقة هي عقد حُسْنِ جوار وتحالفٍ دفاعي ، وتعاونٍ
ضد العدوان ؛ يتكافل الموقعون عليها على نصرة بعضهم بعضا ،
وحماية عقائدهم ممن يريد أوطانهم أو جماعتهم بسوء ؛ وهم بذلك
يكتلون حرية العقيدة، وحرية الدعوة لأعضاء الميثاق على تباين
معتقداتهم . وهذا هو الميثاق العظيم :

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - هذا كتاب من محمد النبي « رسول الله » بين المؤمنين
والمسلمين من قريش ، وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم
وجاهد معهم .

٢ - انهم امة واحدة من دون الناس .

٣ - المهاجرون من قريش على رَبِّعَتِهِمْ « أمرهم الذي كانوا عليه »
يتماثلون بينهم ، وهم يفسدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف
والقسط بين المؤمنين .

٤ - وبنو عوف على رَبِّعَتِهِمْ يتماثلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة
تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٥ - وبنو الحارث من الخزرج على ربعتهم يتماثلون معاقلهم
الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين
المؤمنين .

٦ - وبنو ساعدة على رَبِّعَتِهِمْ يتماثلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة
تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٧ - وبنو جُشَم على ربعتهم يتعاطلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٨ - وبنو النجار على ربعتهم يتعاطلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٩ - وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاطلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٠ - وبنو النبيت على ربعتهم يتعاطلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١١ - وبنو الأوس على ربعتهم الاولى يتعاطلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٢ - وأن المؤمنين لا يتركون مُرَحَا (وهو من انقله الدين) ان يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ، وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

١٣ - وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى كَسِيعةَ ظلم (طلب دفعا على سبيل الظلم ، أو ابتغى عطية على سبيل الظلم) أو اثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم .

١٤ - ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن .

١٥ - وأن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أديانهم ، وأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض دون الناس .

١٦ - وأنه من تبعنا من يهود ، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .

١٧— وأن سلم المؤمنين واحدة ؛ لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال
في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم .:

١٨— وأن كل غزاة غزت معنا يعقب بعضها بعضا . « يعني يكون
الغزو بينهم مناوبة، يعقب بعضهم بعضا فيه » .:

١٩— وأن المؤمنين يبيء بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل
الله . — باء فلان بفلان : قتل به — (يعني أن المؤمنين بعضهم
اولياء بعض فيما ينال دماءهم) .

٢٠— وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ؛ وانه لا يجير
مشرک مالا لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن .

٢١— وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قَوْدٌ به ، إلا ان
يرضى وليّ المقتول بالعقل ؛ وان المؤمنين عليه كافة ، لا
يحل لهم ألا قيام عليه .

(اعتبطه : قتله بلا جناية أو جريرة توجب قتله .
قَوْدٌ به : فإن القتال يقتل به) .

٢٢— وأنه لا يحلّ لمؤمن أقرُّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن باللّهِ
واليوم الآخر ، أن ينصر محدثا أو يؤويه ؛ وأنه من نصره أو
آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ
منه صرف ولا عدل .

(المحدث هنا : الجاني ، المجرم . لا يقبل منه صرف ولا
عدل : والصرف : التوبة . والعدل : الفدية) .

٢٣- وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإنَّ مُرَدَّهُ الى الله
والى محمد .

٢٤- وأن اليهود يُنْفِقُونَ مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٢٥- وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ؛ لليهود دينهم وللمسلمين
دينهم ، مواليهم وانفسهم ، الا من ظلم أو اثم فإنه لا يُوْتِغُ الا
نفسه واهل بيته .

(يُوْتِغُ : يهلك ويفسد) .

٢٦- وأن يهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

٢٧- وأن يهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .

٢٨- وأن يهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .

٢٩- وأن يهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .

٣٠- وأن يهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .

٣١- وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من ظلم واثم
فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته .

٣٢- وأن جفنة بطن من ثعلبة كانوا أنفسهم .

٣٣- وان لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ؛ وأنَّ البرَّ دون الاثم .

٣٤- وان موالي ثعلبة كانوا أنفسهم .

٣٥- وان بطانة يهود كانوا أنفسهم . (بطانة الرجل : اهله وخاصته) .

٣٦- وانه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد ؛ وانه لا يَتَحَجَّرُ على

ثار جرح ؛ وانه من فتك فبنفسه واهل بيته ، الا من ظلم ،

وان له على ابر هذا . (لا يتحجر : لا يلتئم جرح على ثار) .

٣٧- وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ؛ وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ؛ وانه لا ياتم امرؤ بحليفه ؛ وان النصر للمظلوم .

٣٨- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٣٩- وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

٤٠- وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

٤١- وأنه لا تجار حرمة الا باذن أهلها .

٤٢- وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فان مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ؛ وأن الله على أنقى ما في هذه الصحيفة وأبره .

٤٣- وأنه لا تجار قریش ولا من نصرها .

٤٤- وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

٤٥- واذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فانهم يصلحونه ويلبسونه ؛ وأنهم اذا دعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين ، الا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانيهم الذي قبلهم .

٤٦- وأن يهود الأوس مواليهم وانفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة ؛ وأن البر دون الاثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ؛ وأن الله على اصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .

٤٧— وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ؛ وأنه ممن خرج آمن ، ومن تعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ؛ وأن الله جاز لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله . (« الرسالة الخالدة ، نقلا عن كتاب الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراهدة » . للدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادي ، استاذ الحقوق الدولية بجامعة حيدر اباد دكن) .

هـ — هذه هي الوثيقة السياسية التي وضعها النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، منذ ألف وأربعمائة سنة ، والتي تقرر حرية العقيدة ، وحرية الرأي ، وحرمة المدينة ، وحرمة الحياة ، وحرمة المال ، وتحريم الجريمة . وهي فتح جديد في الحياة السياسية والحياة المدنية في عالم يومئذ ؛ ذلك العالم الذي كانت تعيث به يد الاستبداد ، وتعيث فيه يد الظلم فسادا . ولئن لم يشترك في توقيع هذه الوثيقة من اليهود بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع ، فانهم ما لبثوا بعد قليل أن وقعوا بينهم وبين النبي ، عليه الصلاة والسلام ، صفحا مثلها .

فقد قال ابن هشام في السيرة : ان يهود بني قينقاع كانوا أول من نقض العهد مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، (جزء ٣ ص ٤٧) . وأيد ذلك ابن سعد في طبقاته (جزء ٣ ص ٦٨) والمقرئزي في امتاع الاسماع ، والطبري في الجزء الثالث من تفسيره . وأصبحت المدينة وما وراءها حرما آمنا لأهلها ، عليهم أن ينضحوا عنها ويدفعوا كل عادية عليها ، وأن يتكافلوا فيما بينهم لاحترام ما قررت هذه الوثيقة فيها من الحقوق ومن صور الحرية . « حياة محمد لهيكل » .

وفي هذا الميثاق وضع أساس الدولة الإسلامية ، وأصبح
المؤمنون رعايا هذه الدولة على اختلاف اجناسهم وعصبياتهم ،
سيادا وموالي ، أمة واحدة دون الناس .

هذه الأمة تتعاقد في هذه الصحيفة مع أم أخرى من ديانات
أخرى ، فينشأ في أول تعاقد لها ميثاق « لجمعية أمم » ، أساسه
النصر للمظلوم ، والنصح والنصيحة ، وألبر دون الأثم ، وحرمة
الأوطان المشتركة ، وحرمة من يدخل في الميثاق ويقبل جواره ؛ على
أن تصان عقائد المتعاقدين وشعائهم وحرمتهم في الدعوة لدينهم ،
مهما تباينت هذه الأديان . ولقد سبق الإسلام بهذا الميثاق عهد
« هيئة الأمم » الحديثة بأربعة عشر قرنا .

« الرسالة الخالدة » :

فقد ضمنت هذه المعاهدة لليهود فتح باب الإسلام لمن يرغب
منهم فيه ؛ كذلك نصت على كفالة الحرية الدينية لهم ، كما نصت
عدة بنود أخرى على أن القبائل اليهودية تعدّ هي وبطونها أمة من
المؤمنين . وكذلك نص البند الرابع والعشرون على وجوب اشتراك
اليهود في دفع ما عليهم من نفقات في حالة الحرب ؛ وحرّم نص آخر
على المتعاقدين من مسلمين ويهود مناصرة قريش ، وإيواء أحد منهم ،
وقرر البند الثاني والأربعون رغبة المسلمين في التعاون الصادق مع
اليهود من أجل إشاعة الأمن والطمأنينة في المدينة ، والضرب على
أيدي مدبري الفتن . وان أي خلافة ينشأ يرّد إلى الرسول الكريم ،
صلى الله عليه وسلم ، للبتّ فيه ؛ وقرر البند السابع والأربعون ،
وهو الأخير : ان من ارتكب أثما يوجب العقوبة عوقب ، وان
اشتراكه في هذه الصحيفة لا يعفيه من العقوبة . « اليهود في شبه
الجزيرة ، بتصرف » .

وقد حققت هذه الوثيقة كثيرا من المكاسب لجميع المعتادين ؛
فقد وُحِّدَت المدينة تحت قيادة الرسول الكريم ، عليه الصلاة
والسلام ، وقوّت صفوف المسلمين أمام عدوهم قريش ، في الوقت
الذي آمنوا فيه جانب اليهود .

٦ — بعد تلك المعاهدة سكن المسلمون الى دينهم ، وجعلوا يقيمون فرائض
دينهم مجتمعين وفرادى ، لا يخانون اذى ولا يخشون فتنة ؛ وصار
اهل يثرب جميعا يسمعون منذ الفجر من كل يوم دعوة الاسلام ، مرتلة
ترتيلا حسنا بصوت بلال الجميل ، وهكذا انقلبت مخاوف المسلمين
امنا ، واصبحت يثرب مدينة الرسول الكريم ؛ وَقَوِيَ الاسلام ،
واصبح المسلمون يستمتعون من حرية العقيدة بما قرر الاسلام ، من
أن ليس لانسان على انسان سيادة ، ولا فضل لعربي على اعجمي
الا بالتقوى ، وأن الدين لله وحده ، والعبودية له وحده ؛ والناس
أمام الله سواسية ، لا يجوزون الا بأعمالهم ، « وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ
إِلَّا مَا سَعَى » (النجم ٣٩) .

وانفسح المجال امام النبي الكريم ليعلن دينه القويم ، وليكون
بتصرفاته واخلاقه المثل الاعلى ؛ وبذلك وضع حجر الاساس
للحضارة الاسلامية ؛ وحجر الاساس هذا هو الاخاء الانساني ؛
إخاء يجعل المرء لا يكمل ايمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ،
وحتى يصل به هذا الاخاء الى غاية البر والرحمة من غير
ضعف ولا استكانة .

وهكذا تركت تعاليم الاسلام وخلق النبي الكريم في النفوس
اعمق الأثر ، وأقبل الناس أفواجا على الاسلام ، وازداد المسلمون
في المدينة قوة ؛ وهناك بدأ اليهود يفكرون من جديد في موقنهم

من هذا النبي وأصحابه ، وبدأت الحسب الباردة . ودعا الرسول الكريم اليهود فيمن دعا الى الاسلام ، وخصهم القرآن بقسط كبير من الايات لانهم اهل كتاب ، وهم يعلمون من كتبهم صدق رسالته ، وكانوا يعتقدون بظهور نبي منتظر من بني اسرائيل ، وكانوا ينتظرون مجيئه ويسألون الله ان يفتح عليهم بهذا النبي الذي وعدوا به على لسان الرسل ، حتى يتبعوه ويقاثلوا العرب الوثنيين معه ، ويستعيدوا ملك بني اسرائيل في الارض ؛ وكانوا يقولون للعرب بصراحة : ان الله سيبعث النبي المنتظر فيكونون اول من يتبعه ، ثم يقاثلون العرب معه ، فيكون لهم بسببه النصر والغب . ولما لم يأت هذا النبي من بني اسرائيل ، بل جاء من العرب اولاد اسماعيل ، عليه السلام ، حسدوهم ؛ فكفر به عامة اليهود ، وآمن منهم نفر قليل بهذا الدين الجديد ؛ وهذا ما وضحه القرآن الكريم بقوله تعالى : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ؛ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » البقرة ٨٩ .

وقوله تعالى : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ، يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ ؛ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » البقرة ١٤٦ .

لقد عقد اليهود مع النبي عهدا ، وكانوا يطعمون في أن يضموه الى صفوفهم ، وأن يزدادوا به منعة وقوة ؛ ودعاهم النبي الى الاسلام فاستكبروا ؛ وجاملهم ، وكان يزورهم في « مدارسهم » (١) ويجادلونه ، وأعرضوا عن دعوته ، ونصبوا له العدا ، وانطلقوا بكرهم يكذبونه ، ويؤلبون عليه العرب ، ولا يدعون سبيلا من

(١) مدارسهم : مكان دراستهم وتعليمهم التوراة .

سبل الكيد له ولرسالته الا سلكوه ؛ مع أن الرسول الكريم أمنهم في عهده على حريتهم الدينية ، وطقوسهم ومعابدهم ومدارسهم وأموالهم وحقوقهم ، وأبقاهم على محالفاتهم مع بطون الأوس والخزرج ، وأوجب لهم النصر والحمية ، مشترطاً عليهم أن لا يغدروا ، ولا يتجسسوا ، ولا يعينوا عدواً ، ولا يمدوا يداً بأذى . لكنهم ما لبثوا أن تطسروا بقدم هذا النبي العربي ، وعلى الحسد والحقد في قلوبهم ، وأخذوا ينظرون اليه بعيون متوجسة حانقة ، تخشى رسوخ قدمه ، وانتشار دعوته ، واجتماع شمل الأوس والخزرج تحت لوائه بعد ذلك العداء الدموي الطويل الذي كان بينهم ؛ وكان اليهود يستغلونه ويفيدون منه ، ويحققون لانفسهم كثيراً من المصالح والمنافع والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها ، ويجنون ثمراتها ، وفي مقدمتها المصالح الاقتصادية ؛ فقد كان لليهود في الحجاز أفضل مزارع النخيل التي كانت أهم الثروات المستقرة يومئذ في المنطقة ، وكانوا يعاملون الناس بالربا ، ويستعبدونهم ويمتصون دماءهم • (مكاييد يهودية عبر التاريخ) .

تحدثنا صفية بنت حبي بن أخطب ، زوجة الرسول الكريم ، وكان أبوها من أكبر أحبار يهود بني النضير ، تقول : كنت أحبُّ وُلدَ أبي اليه والى عمي أبي ياسر ، لم ألتقهما قط مع ولد لهما الا أخذاني دونه . فلما قدم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المدينة ، ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف ، ذهب اليه أبي وعمي في الصباح الباكر ، ولم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس ، فأتيا كائنين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى من التعب .

قالت وسمعت عمي ابا ياسر وهو يقول لأبي حبي بن اخطب :
 اهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : اتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم .
 قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت . هذا
 الخبر رواه معظم كتب الحديث ؛ وفي سيرة ابن هشام قال ابن
 اسحاق : وكان حبي بن اخطب واخوه ابو ياسر بن اخطب من اشد
 يهود العرب حسدا للرسول الكريم ، وكانا جاهدين في ردّ
 الناس عن الاسلام بما استطاعا . فانزل الله تعالى فيهما قوله :
 « وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ،
 حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ؛ فَاعْفُوا
 وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »
 البقرة ١٠٩ .

وهذا عبد الله بن سلام ، كان حبرا عالما من كبار احيار
 اليهود وعلماهم ، روى قصته البخاري ومسلم ، والامام أحمد
 في مسنده ، وابن هشام في سيرته ، وكثير من المحدثين ، وخلصتها :
 لما سمعت برسول الله ، عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا
 نترقبه ، فكننت مسرّا لذلك ، صامتا عليه ، حتى قدم المدينة ؛
 فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله كُبرّت ، فقالت لي عمتي
 حين سمعت تكبري : خبيك الله ! والله لو كنت سمعت بموسى
 ابن عمران قادم ما زدت ؛ قال : فقلت لها : اي عمّة ، هو
 والله اخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بعث بما بعث به ،
 فقالت : اي ابن اخي ، اهو النبي الذي كنا نُخبر انه يُبعث ؟ قال :
 نعم . قال ، ثم ذهبت الى رسول الله فأسلمت ، ثم رجعت
 الى اهل بيتي فأمرتهم فأسلموا ، وكتمت اسلامي ؛ ثم جئت رسول
 الله فقلت له : ان اليهود قوم بُهت ، يقولون على المرء ما

ليس فيه ، واني احب ان تدخطني في بعض بيوتك ، ثم تسالهم عني حتى يخبروك كيف انا فيهم قبل ان يعلموا اسلامي . فادخله الرسول الكريم بعض بيوته ، ونسأدى بعض رؤوس اليهود ، فدخلوا عليه وكلموه . ثم قال لهم : أي رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ وهذا اسمه قبيل أن يسلم - قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا ؛ قال : فلما فرغوا من قولهم خرجتُ عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود اتقوا الله ، واقبلوا ما جاءكم به محمد ؛ فوالله انكم لتعلمون أنه لرسول الله ، تجدونه مكتوبا في التوراة باسمه وصفته ؛ فاني اشهد انه رسول الله ، وأومن به وأصدقته وأعرفه .

فقالوا : كذبت ؛ ثم وقعوا بي فقالوا : شُرنا وابن شُرنا ؛ فقلت لرسول الله : ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهت ، اهل غدر وكذب وفجور ؟ .

٧ - ولما أخذت شوكة المسلمين تشتد ، أخذ اليهود يدبرون المكائد للرسول الكريم وأصحابه . وما أسرع ما اجتمع اليهم من بقي على الشرك من الأوس والخزرج ، ومن أسلم منهم نفاقا ، وعلسى رأسهم عبد الله بن أبي ، رأس المنافقين . وبدأت حرب جدل بين النبي الكريم واليهود أشد لهدا وأكبر مكرًا من حرب الجدل التي كانت بينه وبين قريش بمكة ؛ ففي هذه الحرب الباردة تعاونت الدسيسسة والنفاق والعلم بأخبار السابقين ، أقامت اليهود جميعا ، يهاجمون بها محمدا ورسالته وأصحابه من المهاجرين والانصار ، ونصبوا العداة للمؤمنين جميعا بغياً وضغناً وحسداً من عند أنفسهم ؛ وحمل لسواء ذلك العداة احبارهم فأخذوا يدبرون مؤامرات عديدة لصد العرب عن قبول دعوة الرسول ،

وفتنة المسلمين عن دينهم ، وإلجائهم الى أضيق السبل ،
والتخذيل عنهم ، وتوهين قواهم .

ودسوا من أخبارهم من أظهر إسلامه ، ومن استطاع أن
يجلس بين المسلمين يظهر غاية التقوى ؛ وصاروا بين الحين
والحين يبدون الشكوك والريب ، ويلقي بعضهم على النبي من
الأسئلة ما يحسبه يزعزع في أنفس المسلمين عقيدتهم به ،
وبرسالة الحق التي يدعو إليها . ولم تخف هذه الأمور على
المسلمين ، فقد فطنوا لهم وعرفوا غاية سعيهم . وأوهم يوما
في المسجد يتحدثون بينهم خافضين أصواتهم ، قد لصق بعضهم
ببعض ، فأمر النبي باخراجهم من المسجد ، فأخرجوا بعنف .
ولم يثنهم ذلك عن كيدهم وسعيهم في الوقيعة بين المسلمين . « هيكل »

من هؤلاء الذين تظاهروا بإسلامهم من أخبار يهود بني قينقاع
نفاقا وكيدا للمسلمين : سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان
بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورائع بن حريملة ، ورفاعة بن
زيد بن التابوت ، وسلسلة ابن برهام ، وكنانة بن صوريا .

مُرَّ شَاس بن قيس ، وهو من شياطين اليهود ، على نفر من
الأوس والخزرج في مجلس مجتمعين مسرورين ، ففاظطه صلاح ذات
بينهم ، وقال في نفسه : إذا بقي هؤلاء على هذه المودة والتعاون
فما لنا معهم من قرار . وأمر فتى شابا من اليهود كان معهم أن
ينتهاز فرصة يُذكرهم فيها يوم بعثت ، يوم انتصر الأوس فيه على
الخزرج . وتكلم الغلام ، فذكر القوم ذلك اليوم ، وانشد بعض ما
قيل فيه من أشعار . فتنازع الأوس والخزرج ، وتفاخروا واختصموا ،
وقال بعضهم لبعض : ان ثبتم عدنا الى مثلها . وبلغ النبي ذلك

الامر ، فخرج اليهم ومعه بعض أصحابه ، فذكروهم بما ألف الاسلام بين قلوبهم ، وجعلهم اخوانا متحابين ؛ وما زال بهم حتى بكى القوم ، وعانق بعضهم بعضا ، واستغفروا الله جهيما « ابن هشام » .

وقد بلغ الجدل بين اليهود والمسلمين حدًّا كان يصل أحيانا الى الاعتداء بالايدي . والمعروف عن ابي بكر ، رضي الله عنه ، دمائه الخلق وطول الأناة ولين الطبع ، ومع هذا فقد استتاره بعض اليهود حتى ضربه بيده ؛ فقد اجتمع برجل منهم يقال له فنحاص ، من احبارهم ، وجعل يدعوهم الى الاسلام ، فرد فنحاص بقوله : « والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر ، وانه الينا لفقير ، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا عنه أغنياء ، وما هو بغني عنا . ولو كان غنيا ما استقرضنا اموالنا كما يزعم صاحبكم » . وفنحاص يشير هنا الى قوله تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً » سورة البقرة ٢٤٥ . فلم يطق ابو بكر على هذا الجواب صبورا ، فغضب وضرب وجهه فنحاص ضربا شديدا ، وقال : والذي نفسي بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك يا عدو الله . وشكا فنحاص امره الى النبي ، وانكر ما قاله لابي بكر ، فنزل قوله تعالى : « لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ؛ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ، وَقَتْلَهُمُ الْإِنِّيْسَاءَ بِمَيْرِ حَقٍّ ، وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » آل عمران ١٨١ .

لم يكتف اليهود بالوقيفة بين المهاجرين والانصار ، وبين الأوس والخزرج ، ولم يكنهم فتنة المسلمين عن دينهم ، ومحاولة ردهم الى الشرك دون محاولة تهويدهم ، بل زادوا على ذلك أن حاولوا فتنة النبي محمد نفسه ، عليه السلام . ذلك أن عددا من احبارهم ،

وهم كعب بن أسد ، ولين صلوبا ، وعبد الله بن صوري ،
وشناس بن قيس ، اجتمعوا وقال بعضهم لبعض : « اذهبوا بنا
الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فانما هو يشر » . فذهبوا اليه
وقالوا : « يا محمد ، انك عرفت امرنا ومزلتنا ، وانا ان اتبعناك
اتبعت اليهود ولم يخالفونا ، وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة ،
ونريد ان نتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ، فنؤمن بك ونتبعك » .
فرفض النبي الكريم عرضهم ، وأبى أن يحكم بينهم الا بالحق اذا
تحاكموا اليه . وانزل الله فيهم قوله : « وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ؛ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ، اُنْحَكُمَ الْجَاهِلِيَّةُ
يَبْعُونَ ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » المائدة ٤٩ ، ٥٠ .

ومن أمثلة المكائد التي كانوا يدبرونها ما تحدثنا به كتب
السيرة ، ان طائفة من اليهود تذاكروا فيما بينهم لتدبير مكيدة
الدخول في الاسلام اول النهار ، والخروج منه آخره ، ليقادهم
العرب المسلمون في ذلك . فقد اجتمع عبد الله بن ضيف ،
وعدي بن زيد ، وهما من يهود بني قينقاع ، والحارث بن عوف ،
وهو من يهود بني قريظة ، فقال بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن
بما انزل على محمد واصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ، حتى
نلبس عليهم دينهم ، لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن
دينهم ؛ ففضح الله مكيدتهم هذه وانزل فيهم قوله تعالى :
« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ، لِمَ تُلِيْسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى
الَّذِينَ آمَنُوا وَجِئَتْ نَهَارًا وَكُفِّرُوا بَخْرًا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلَا تُوْمِنُوا

إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ . قُلْ : إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ، أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ
مِّثْلَ مَا أُوتِينَا أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ؟ قُلْ : إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ
اللَّهِ ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » آل عمران ٧١ - ٤٣ .

ولا يتسع المقام لسرد جميع أخبارهم ومكائدهم في تاريخهم
مع الرسول الكريم واصحابه ، فانها أخبار طويلة جدا . ومن
نظر في أمر اليهود اليوم ، وما يثرونه في العالم من فتن ، وما
يختلقونه من أكاذيب ودعاوى باطلية ، ويبيكون ويتباكون كذبا
وزورا ، وينشرون الفساد في الارض في مختلف انواع الطرق ،
والحيل الشيطانية ، حتى لا يكاد الباحثون يجدون مكرًا في الارض
الا وقد سبق اليهود الى اكتشافه ، ووضعهم ضمن قائمة خطط
مكرهم ، « وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَتَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ » ابرهيم ٤٦ .
ومن نظر في أمرهم يجد أنهم هم هم في كل مكان وكل زمان .

٨ - الحرب الفعلية بين النبي الكريم واليهود . شعر اليهود والمنافقون
بعد معركة بدر بتزايد قوة المسلمين • وقامت قيامتهم ، وبدأ بعضهم
يرسل الاشعار في التحريض عليهم ، وسلطوا شاعرين من شعرائهم ،
هما أبو عفك ، وكعب بن الأشرف .

أما أبو عفك فقد كان شيخا كبيرا يقول الشعر ، فأخذ يسلط
لسانه بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وألحريض على قتاله .
وقد كان الشعر في العرب أهم وسيلة اعلامية تحرض على الحرب .
فثارت نائرة أحد المؤمنين ، واسمه سالم بن عمير ، فندران يقتله
او يموت دونه • فما زال يتربص به حتى قتله .

وأما كعب بن الأشرف فقد كان أمره أخطر من أبي عفك ، لما
له من جاه ومنزلة عند قومه وعند العرب . فأنسه لما بلغه خبر

انتصار المسلمين في بدر ، ومقتل صناديد قريش ، قال : « أحق هذا ؟ اترون محمدا قتل هؤلاء ؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس . والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لُبَطْنُ الارض خير من ظهرها » .

واخذ يسلمط لسانه على الرسول والمؤمنين ، وأعلن نقض العهد ، وذهب الى مكة ، وجعل يحرض على رسول الله ، وينشد الإشعار ويكي فيها من قتل في بدر من المشركين ؛ ثم رجع الى المدينة مجاهرا بعداوته ، وجعل يقول الإشعار في نساء المسلمين ، ويشبب بهن حتى كان منه اذى بالغ . فأجلّ دمه بما فعل ؛ فانتدب لقتله نفر من الأوس على رأسهم محمد بن مسلمة ، فذهبوا الى حصن كعب واستنزروه منه وقتلوه . وبمقتل هذين الشاعرين اللذين تصديا للرسول وللتحريض عليه وهجوه ، وإعلان عدائهما له ، قطعت السنة التحدي ، وانطفأت جذوة الشر . ولكن الرسول الكريم كان دائما متيقظا ، محترسا منهم ، وعلى علم بما يمكرون ويكيدون .

وكان لليهود في المدينة وحولها ثلاثة معاقل كبيرة ، هي بنو النضير ، وبنو قينقاع ، وبنو قريظة ، وفي شمال المدينة : خيبر ، ووادي القرى ، وفدك ، وتيماء .

بنو قينقاع : بعد مقتل كعب بن الأشرف ازدادت مخاوف اليهود ، وأضرموا الشر للنبي وللمسلمين . وفي هذه الاثناء قدمت امرأة من العرب الى سوق لليهود من بني قينقاع تريد أن تشتري حلية ، وجلست الى صائغ منهم ، وكانت محجبة ، فجعل نفر من يهود بني قينقاع يستهزئون بها ، ويطلبون منها أن تكشف وجهها ، والمرأة تابى ذلك ؛ فعمد الصائغ اليهودي الى طرف من ثوبها من خلف

وعقده الى ظهرها وهي جالسة ، دون أن تشعر المرأة بما فعل .
فلما قامت انكشفت عورتها ؛ فضحكوا منها ، فصاحت ؛ فوثب
رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وقام جماعة من اليهود وقتلوا
المسلم ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فوقع
الشر بينهم وبين بني قينقاع .

فجاء الرسوم الكريم الى سوقهم ، وجمع اليهود ، وطلب
اليهم أن يكفوا عن أذى المسلمين ، وأن يحفظوا عهد المواعدة
أو ينزل بهم ما أنزل بقريش . فاستخفوا بوعيده وقالوا : « يا
محمد ، لا يفرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم
فرصة ؛ انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس » .

فأنزل الله تعالى فيهم قوله : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : سَتُغْلَبُونَ
وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ، وَيُنْسَىٰ الْإِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي فَتْنِ الْيَهُودِ :
فِتْنَةٌ تَمَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ؛
وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ »
آل عمران ١٢ - ١٣ (ابن هشام) .

وكان عملهم هذا بمثابة الانذار العلني ، المتضمن استعدادهم
لمحاربة الرسول . وعندما سمع الرسول بحادث المرأة نبذ عهدهم ،
ودعا المسلمين الى قتالهم ؛ فحاصروهم في حصونهم خمس عشرة
ليلة . وألقى الله في قلوبهم الرعب ، ولم يستطيعوا أن يظهروا
لقتال المسلمين . ولما طال عليهم الحصار ، نزلوا على حكم
الرسول الكريم والتسليم بقضائه . فتقدم عبد الله بن أبي بن سلول ،
رأس المنافقين ، وحليف بني قينقاع ، فقال : يا محمد، أحسن في
موالي . وما زال يلح الى الرسول حتى أذن بأن يجلوا عن المدينة ،

وإن يأخذوا أموالهم واثقالهم وخفيف السلاح . فخرجوا الى الشام ، ونزلوا باذرعات ، واستراح المسلمون منهم :

بنو النضير : هدات احوال اليهود من بني النضير وبني قريظة ظاهرا بعد اجلاء بني قينقاع ، الا أن بواطنهم ما زالت تجيش بالحقن والعداوة . وحدث أن رجلا من المسلمين أسمه عمرو بن أمية الضمري قتل رجلين مشركين من بني عامر ، وهو لا يعلم أن معهما عهدا من الرسول ، صلى الله عليه وسلم . فقام الرسول بجمع دينهما ، وذهب الى بني النضير مع عدد من أصحابه . وجلس معهم يكلمهم في ذلك ، فأظهروا الغبطة وحسن الاستعداد لاجابته . ولكنهم أبطأوا ، وأحس أن هناك مؤامرة تدبر . وفعلا كان هناك مؤامرة لقتل الرسول الكريم ؛ فقد دخل أحد رجالهم ، واسمه عمر بن جحاش بن كعب ، البيت الذي كان محمد مستندا الى جداره ، ليلقي عليه صخرة يقتله بها ، وفي تلك اللحظة انسحب النبي عليه الصلاة والسلام من مكانه ، تاركا أصحابه وراءه وهم يظنون أنه قام لبعض حاجته ، ومضى الى المدينة . فلما طال انتظار أصحابه ، قاموا في طلبه ، وأخبرهم احد المسلمين أنه رآه يدخل المدينة ، فلاحقوا به ، فأخبرهم أن اليهود كانوا يدبرون مكيده لقتله . ودعا محمد بن سلمة ، من أصحابه ، وقال له :

« اذهب الى يهود بني النضير فقل لهم : ان رسول الله أرسلني اليكم ان اخرجوا من بلده ، فانكم قد نقضتم العهد بما همتم من الغدر به ، وقد أجلتهم عشرة أيام ، فمن روى بعد ذلك ضربت عنقه »

« امتناع الاسماع وابسن هشام » . وفي ذلك نزل قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ » المائدة ١١ .

ومكث اليهود أياماً يتجهزون ، فأرسل اليهم عبد الله بن أبي ،
 رأس المنافقين ، بأن لا يخرجوا من ديارهم ، وأنه سيمنعهم ويحارب
 معهم ؛ فدخلوا حصونهم وامتنعوا . وانقضت الايام العشرة ولم
 يخرجوا .

خرج اليهم رسول الله ومعه أصحابه ، وحاصرهم عشرين
 ليلة ، وهم يرمون المسلمين بالنبل من فوق الجدران . ولم يأت
 عبد الله بن أبي ؛ فلما يسوا سألوا النبي عليه الصلاة والسلام ان
 يؤمنهم على اموالهم ودمائهم وذرايرهم حتى يخرجوا من المدينة ؛
 فأمنهم على ان لهم ما حملت الابل من المال والطعام ، وعلى
 ان يتركوا الاسلحة . فخرجوا بنسائهم وذرايرهم على الابل ،
 واجتازوا سوق المدينة والنساء وسط الهوداج يضربن بالدفوف
 ويزمرن بالزامير ، وعلى رأسهم حبي بن اخطب ، وسلام بن ابي
 الحقيق ، في نحو ستمائة بعير . وحزن المنافقون لخروجهم اشد
 الحزن ، وذهبوا الى خيبر وبعضهم الى الشام .

وفي بني النضير نزلت سورة الحشر : « هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ؛ مَا ظَنَنْتُمْ
 أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ،
 وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ؛
 فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْبَصَارِ » .

ثم تمضي السورة تتحدث عن المنافقين وكذبهم ، فيقول تعالى :
 « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ : لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِن
 قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ؛ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ ؛ لَئِن أُخْرِجُوا لَا

يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ قَاتَلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ
الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ « الحشر ١١ - ١٢ . وتركوا وراءهم للمسلمين
مغانم كثيرة من غلال وسلاح وارض واسعة . وكان نصر الله عظيما .
وفي ذلك يقول تعالى : « مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ،
فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأِثْنِ السَّبِيلِ ، كَمَا
لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا
نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » الحشر ٧ .
وفي اجلاء بني النضير ذهب شر كبير . يقول محمد حسين هيكل :
« ليس من العسير أن يقدر الانسان قيمة نصر المسلمين واجلاء بني
النضير عن المدينة ، لما كان يخلفه بقاؤهم من تشجيع عوامل
الفتنة ، ومن دعوة المنافقين الى أن يرفعوا رؤوسهم كلما اصاب
المسلمين شر ، ومن التهديد بالحرب الاهلية اذا غزا المسلمين
غاز من الاعداء » .

بنو قريظة : كانت مؤامرة بني قريظة ونقضهم للمهد من اخطر
المؤامرات ، لانها جاءت في وقت من اخرج الاوقات على المسلمين .
فقد خرج نفر من بني النضير ، على رأسهم حيي بن اخطب ، وسلام
بن ابي الحقيق ، وكنانة بن ابي الحقيق ، ومعهم من بنى وائل
هوذة بن قيس ، وابو عمار ، وغيرهم ، وذهبوا الى مكة ، وآلبوا
قريشا ، وحرّضوهم على قتال محمد وأصحابه ، وقالوا لهم أنهم
مستعدون أن يأتوا من خيبر ليقاتلوا معهم ، وأن بني قريظة أقاموا
بالمدينة مكرأ بمحمد حتى تأتوهم فيميلوا معكم . وتحاوروا معهم
طويلا ، وسألهم كبار قريش فقالوا لهم : يا معشر يهود ، انكم
اهل الكتاب الاول ، واهل العلم بما اصبحتا نختلف فيه نحن
ومحمد ؛ أفديننا خير أم دينه ؟ فقال اليهود : بل دينكم خير من دينه ،

وانتم اولى بالحق منه . والى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا » سورة النساء ٥١ - ٥٢ .

وفي موقف اليهود هذا من قريش ، وتفضيلهم وثنيتهم على توحيد محمد ، يقول الدكتور اسرائيل ولفنسون في كتابه « تاريخ اليهود في بلاد العرب » : « كان من واجب هؤلاء ان لا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش ، وأن لا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام أفضل من التوحيد الاسلامي ، ولو ادى بهم الامر الى عدم اجابة مطالبهم . . . الى ان يقول : كان من واجبهم ان يضحسوا بحياتهم ، وكل عزيز لديهم في سبيل ان يخذلوا المشركين ؛ هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم الى عبدة الاصنام انما كانوا يحاربون انفسهم ، ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من اصحاب الاصنام ، وبالوقوف منهم موقف الخصومة » .

ولم يكتف حيي بن أخطب واليهود الذين معه بهذا الذي قالوا لقريش في تفضيل وثنيتهم على توحيد محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بل خرجوا يحرضون قبائل العرب ، حتى التفتوا حول أبي سفيان ، وخرج بنحو عشرة آلاف مقاتل قاصدا المدينة في غزوة الخندق .

وذهب حيي بن أخطب الى بني قريظة ، يريد رئيسها وقائدها كعب ابن أسد ، الذي امتنع عن مقابلته في اول الامر ؛ ولكن حيي بن أخطب ألح عليه ، وما زال به حتى فتح له باب الحصن ،

ثم قال له : « ويحك يا كعب ، جئتك بعز الدهر وببحر طام ، جئتك بقريش وغطفان مع قادتها وسادتها ، وقد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه » .

وتردد كعب ، وذكر وفاء محمد وصدقه لعهدده ، وخشى مغبة ما يدعوه حيي اليه ؛ ولكن حَيِّياً ما زال به ، يذكر له ما أصاب اليهود من محمد ، وما يوشك أن يصيبهم منه إذا لم تنجح الأحزاب في القضاء عليه ، ويصف له قوة الأحزاب وعدتها وعددها ، وعلى رأسها أبو سفيان . وما زال به حتى لان كعب ووافقه ، ونقض عهده مع الرسول الكريم والمسلمين ، وخرج من حياده . واجتمعت جيوش الأحزاب حول الخندق محاصرين المدينة ، واشتد الأمر على المسلمين، وضائق عليهم الدنيا بما رحبت ؛ ودام الحصار نحو عشرين ليلة ، وتخلّفت اليهود من بني قريظة ولم تحارب . واشتد الأمر على المحاصرين ، وهبت عواصف ، فقلبت القدور وقوّضت الخيام ، وهطل المطر غزيراً ، ودخل الرعب قلوب المشركين ؛ فقام طليحة بن خويلد الاسدي فنادى : ان محمداً قد بداكم بشر ، فالنجاة النجاة ! وقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ؛ لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا منها ما نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، فارتحلوا فاني مرتحل . واصبح الصبح ولم يجد النبي منهم احداً ، « وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ » الأحزاب ٢٥ . وفي هذا الموقف يقول الله تعالى في سورة الأحزاب : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ، إِذْ جَاءُوكُم مِّن مَّوْجِكُمْ مِّن أَسْفَلٍ مِّنكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ

الْحَنَاجِرَ . وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ؛ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

وعاد رسول الله والمؤمنون الى المدينة ، ومنها امر الرسول الكريم المؤمنين أن يذهبوا الى بني قريظة . وحاصروا بني قريظة مدة خمسة وعشرين يوما ، لم تقع خلالها حرب الا بعض تراشق بالنبل والحجارة . ولما طال عليهم الحصار بعثوا يطلبون من النبي ، عليه الصلاة والسلام ، أن يتركهم يخرجون الى اذرعات ، على ان لا يأخذوا معهم شيئا ؛ فأبى ذلك الا أن ينزلوا على الحكم ، فقبلوا حكم سعد بن معاذ ، رئيس الأوس وحليفهم ؛ فحكم سعد فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى الذرية والنساء ، وتقسم أموالهم ، ونفذ فيهم الحكم . (سيرة ابن هشام) .

وبذهاب الاحزاب ، والقضاء على بني قريظة ، صفا جو المدينة من اليهود ، وخفت صوت المنافقين ، وذهبت العرب كلها تتحدث بقوة المسلمين وسلطانهم .

خيبر : كانت غزوة خيبر اخر صدام بين النبي ، صلى الله عليه وسلم ، واليهود . وتقع خيبر في شمال الحجاز ، وهي على طريق الشام . واليهود لا يؤمن جانبهم ولا ينفع معهم عهد ولا صلح ؛ وقد خشي الرسول الكريم أن يجمع اليهود بعضهم بعضا ، ويصلهم مدد من هرقل ، ويقوموا بهجوم مباغت على المدينة . فعزم على غزوهم والخلاص منهم .

امر رسول الله الناس بالتجهز لغزو خيبر ، ومضى ومعه ألفا وستمائة مقاتل ، منهم مائة فارس ؛ وقطموا مراحل الطريق

ما بين خيبر والمدينة في ثلاثة أيام ، وباتوا أمام حصونها . وأصبح الصباح ، وغدا عمال خيبر خارجين الى مزارعهم ، ومعهم مساحيهم وآلات الزراعة . فلما راوا جيش المسلمين ، ولوا الأديار يتصايحون قائلين : هذا محمد والجيش معه . وقال الرسول الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، لما سمع قولهم : « خربت خيبر . أنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . وكان في خيبر أحد عشر حصنا ، وكان اليهود فيها مسلحين ، وهم اشداء مقاتلون أغنياء ، والسلاح عندهم كثير . ودارت الحرب بين المسلمين واليهود ، وقاتلوا قتالا شديدا (١) ، وبدأت حصونهم تنهار أمام هجمات المسلمين الواحد تلو الآخر ، حتى فتحوها كلها ؛ واستسلم اليهود ، وصالحهم الرسول على أن يبقوا في أرضهم يستغلونها ويكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم ، والنصف الثاني للرسول يضعه حيث يشاء .

وكان من احسان النبي الكريم .معاملة اليهود في خيبر انه كان من بين ما غنم المسلمون ، حين غزوها ، بعض نسخ من التوراة ؛ فطلب اليهود ردّها ، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بردّها اليهم . « محمد حسين هيكل » .

لقد عامل النبي يهود خيبر معاملة حسنة ، مع أنهم حاربوه حربا شديدة لأمرين : الاول أن خيبر أرضها واسعة ، وهي غنية بالحدائق والمزارع والنخيل ؛ وهذا كله يحتاج الى الايدي العاملة الكثيرة لاستغلاله وحسن القيام على زراعته .

والثاني : بسقوط خيبر انتهى بأس اليهود ، ولم يعد منهم اي خطر على المدينة ، ولن تقوم لهم بعد ذلك قائمة ابدا .

(١) دامت الحرب بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام ستة أسابيع .

وبعد ذلك أذعن أهل فدك من اليهود ، فصالحوا الرسول على نصف أموالهم من غير قتال ، وكذلك يهود وادي القرى . وأما يهود تيماء ، فقبلوا دفع الجزية من غير حرب ولا قتال . وبذلك دانت اليهود كلها لسلطان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وانتهى كل ما كان لهم من سلطان في شبه الجزيرة العربية ؛ وأصبح النبي وأصحابه في مأمن من الشمال ، من ناحية الشام ، كما صار من قبل في صلح الحديبية بمأمن من ناحية الجنوب .

وهكذا أمن رسول الله وأصحابه شر قريش واليهود ، وتفرغ لنشر رسالته الخالدة للعالم أجمع ، وأرسل رسله إلى الملوك : هرقل ، وكسرى ، والمقوقس ، والحارث الفسائي ملك الحيرة ، والحارث الحميري ملك اليمن ، وإلى النجاشي بالحبشة يدعوهم إلى الاسلام . وما مضى ثلاثون عاماً على ارسال تلك الرسائل حتى أصبحت تلك البلاد في قبضة الاسلام ، ودان أكثرها بالاسلام ؛ ذلك الدين القيم ، الذي يجمع بين الروح والمادة ، دين الكمال ، دين الله جل شأنه ، الذي يحرر العقول لترى ، والقلوب لتبصر ، والذي يضع للإنسان في حياة العقيدة ، كما يضع له في نظام الجماعة ، قواعد عامة توازي بين سلطان الروح وقوة المادة ، لتبلغ بالإنسان إلى غاية الكمال ، وتبلغ بالجماعة الإنسانية ، بفضل ذلك النظام ، إلى خير مكان أعد لها بين كائنات الوجود .

لقد كان الاسلام دائماً أغنى ما يكون في الجوهر ، وأبعد ما يكون عن فخامة المظهر ؛ وقد جاء إلى هذا العالم فأحدث أكبر انقلاب خلقي ، وأعظم ثورة على الوثنية والظلم والفساد ، وأضخم حضارة مثالية انتشرت في مشارق الارض ومغاربها في أقل من مائة عام ، فغيرت التاريخ في زمن يكاد يكون مجرد لحظة من صفحات التاريخ الطويل ، أذهل المؤرخين ، وحير المفكرين .

المراجع

- ١ — القرآن الكريم وعبده من التفسير .
- ٢ — التاج الجامع للأصول « الكتب الستة » ، الشيخ منصور علي ناصف .
- ٣ — سيرة ابن هشام .
- ٤ — شرح سيرة ابن هشام للسيهلي .
- ٥ — امتاع الاسماع للمقريزي .
- ٦ — تاريخ الطبري .
- ٧ — تاريخ ابن كثير .
- ٨ — حياة محمد ، محمد حسين هيكل .
- ٩ — الرسالة الخالدة ، عبد الرحمن عزام .
- ١٠ — العرب واليهود ، الدكتور أحمد سوسة .
- ١١ — التاريخ اليهودي العام ، صابر طعمة .
- ١٢ — اليهود بين الدين والتاريخ ، صابر طعمة .
- ١٣ — اليهود : نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ، زكي شنوده .
- ١٤ — تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ، محمد عزة دروزه .
- ١٥ — سيرة الرسول ، صورة مقتبسة من القرآن ، محمد عزة دروزه .

- ١٦- عصر النبي ، محمد عزة دروزه .
- ١٧- خاتم النبيين ، الشيخ محمد أبو زهرة .
- ١٨- اليهود في القرآن الكريم ، عفيف عبد الفتاح طبارة .
- ١٩- اليهود في شبه الجزيرة العربية ، الدكتور محمد رشيد العقيلي .
- ٢٠- مكايد يهودية عبر التاريخ ، عبيد الرحمن حسن
حبّكة الميداني .
- ٢١- المفسدون في الأرض ، ناجي .
- ٢٢- تاريخ اليهود في بلاد العرب ، إسرائيل ولفنستون .